عثمان بن عفان

ذو النورين

obeikandl.com

مولد عثمان ونسبه

هو عثمان بن عفان ، بن العاص ، بن أمية ، بن عبدشمس ، ابن عبد مناف ، بن قصى القرشى الأموى .

ولد فى السنة الخامسه من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سيرته ـ ومنزلته عند النبى

شب رضى الله عنه على الأخلاق الفاضلة ، والسيرة الحسنة ، وتم إسلامه على يد سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وهاجر إلى الحبشة مع زوجته رقية بنت الرسول ، ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة وشهد جميع المواقع والغزوات مع النبى صلى الله عليه وسلم ، إلا غزوة « بدر » فقد تخلف عنها لمرض أصاب زوجته السيدة رقية حيث قام بتمريضها ، والسهر بجانبها ، وكان له الفضل الأكبر فى تقوية « جيش العسرة » إلى تبوك ، وقدم جميع ماله وأنفقه

فى سبيل الله فداه للمسلمين ، وإعلاء لكلمة الله ، ونصرة دين رسول الله ، وكان رضى الله عنه سخيا ، جوادا كريما ، يحب قوى الايمان ، ويحترم الضعيف ويحميه ، فقد اشترى بماله « بئر رومة » وتصدق بها على المسلمين ، وكانت هذه البئر يملكها يهودى ويبيع ماءها للمسلمين ويتحكم فيهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشترى بئر رومه ويجعلها هبة للمسلمين . فأتى عثمان اليهودى وساومه على بيعها له ، فأبى اليهودى أن يبيعها كلها . فاشترى منه نصفها باثنى عشر ألف درهم . فجعله للمسلمين ، ثم اشترى بعد ذلك النصف الآخر بثمانية آلاف درهم .

وكان رضى الله عنه كاتب الوحى بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم . ولقب « بذى النورين » لجمعه بين نورين بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد تزوج السيدة رقية رضى الله عنها قبل النبوة والبعثة المحمديه ، وتزوج السيدة أم كلثوم رضى الله عنها ، بعد النبوة ، وقيام البعثة المحمدية ، وقد أنجبت

له السيدة رقية ولداً يقال له (عبد الله) ولم تنجب السيدة أم كلثوم منه أولاداً ، وحين وفاتها ، قال صلى الله عليه وسلم لوكانت عندى بنتا ثالثة لزوجتها عثمان : وورد فى رواية لابن عساكر « قال النبي صلى الله عليه وسلم . لو كان لى أربعون ابنة لزوجت عثمان واحدة بعد واحدة » وذلك لما يراه فيه النبي صلى الله عليه وسلم من حسن العشرة ، وسماحة النفس ، وحسن المعاملة : فقد أخرج ابن عساكر عن أسامة بن زيد : قال (بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل عثمان بصفحة فيها لحم ، فدخلت منزل عثمان . فاذا رقية جالسة . فجعلت مرة أنظر إلى وجه رقية ، ومرة أنظر إلى وجه عثمان فلما رجعت ، سألنى النبي صلى الله عليه وسلم قال لى : دخلت عليهما ، قلت نعم يارسول الله . قال فهل رأيت زوجا أحسن منهما ، قلت لم تر عينى مثل ذلك .

وكان رضى الله عنه ذا منزله عظيمة عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان دائما يفتخر به ، وينوه بمكارمه ، ويكثر

من ذكر محاسنه . قال بن عباس رضى الله عنهما ، عن أم كلثوم رضى الله عنها ، أنها جاءت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقالت له يا رسول الله ، زوجتنى عثمان ، وزوجت فاطمة خيراً منه ، فقال صلى الله عليه وسلم . زوجتك من يحبه الله ورسوله ، ويحب الله ورسوله ، ثم قال وأزيدك لو قد دخلت الجنة ، فرأيت منزله ، لم تر أحدا من أصحابى يعلوه فى منزله .

من هذا كله يتبين لك أيها القارىء الكريم ما كان عليه سيدنا عثمان رضى الله عنه من منزلة كريمة عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد روى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت « لما زوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم كلثوم بعثمان رضى الله عنه قال لها : إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم وأبيك محمد عليه السلام » وأخرج الشيخان عن عائشة أيضا ، أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عليه عثمان رضى الله عنه وقال « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » .

ومما يدلك أيضا على شدة حيائه ، واستحياء النبي منه . ماورد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أنها قالت «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعا فى بيته كاشفا عن فخذيه ، — أو ساقيه — فاستأذن أبو بكر رضى الله عنه فى الدخول فأذن له ، وهو على تلك الحالة ، فتحدث معه وخرج ، ثم استأذن عمر رضى الله عنه فى الدخول ، فأذن له وهو على تلك الحالة أيضا ، فتحدث معه وخرج . ثم استأذن عثمان رضى الله عنه فى الدخول فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واعتدل ، وسوى ثيابه ، وأذن له بالدخول ، فتحدث معه ولما خرج عثمان من عند رسول الله . قالت عائشة رضى الله عنها « يارسول الله » دخل أبو بكر رضى الله عنه فلم تهتش له ، ولم تباله ، ثم دخل عمر ، فلم تهتش له ولم تباله ، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعائشة « ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة » رواه مسلم .

انتخاب عثمان للخلافة

لما توفى عمر رضى الله عنه . اجتمع المسلمون فى بيت أحدهم ، وأخذوا يتشاورون فى أمر اسناد الخلافة إلى أحد منهم . وظل اجتماعهم ثلاثة أيام مختلفين فى أقوالهم وآرائهم إلى أن قال « عبد الرحمن بن عوف » . أنا أنخلع منها — فقال عثمان أنا أول من رضى بها فقال القوم ، قد رضينا بعثمان . حدث كل هذا والامام على ينصت ولا يتكلم . فقال له ابن عوف : ما قولك يا أبا الحسن ؟ فقال على رضى الله عنه « أعطنى موثقا من الله لتؤثرن الحق على الباطل ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذا رحم لرحمه . فقال ابن عوف أعطونى موثقكم على أن تكونوا معى على من بدل وغير ، وأن ترضوا من اخترت لكم على ميثاق الله أن لا أخص ذا رحم لرحمه ، وأن أوثر الحق على الباطل فأخذ منهم ميثاقا على ذلك وأعطاهم مثله .

على هـــذا خرج عبد الرحمن بن عوف يتلقى الناس ويستشيرهم فى أمر الخلافة . فلم يترك أحدا من المهاجرين والأنصار إلا سأله وأخذ رأيه . فلم يلق أحدا يستشيره ولا يسأله إلا ويقول « عثمان » .

عند ذلك اجتمع رضى الله عنه بالمسلمين ، فوجد آراءهم متضاربة ، فمنهم من يرى الخلافة لعلى أحب إليه ، وانصرف « الزبير وسعد » على أن عليا أحق بالخلافة من عثمان . ثم دعا عبد الرحمن بن عوف عليا فناجاه طويلا . ودعا عثمان فناجاه طويلا حتى فرق أذان الصبح بينهما . ولما قضيت صلاة الصبح ، جمع عبد الرحمن القوم وبعث إلى من حضره من المهاجرين ، وذوى الفضل من الأنصار والأمراء منهم حتى امتلأ المسجد بهم ، فقال ابن عوف يا قوم : إنى قد نظرت وشاورت ثم دعا عليا فقال له : عليك عهـــد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلى نهج الخليفتين من بعده .

فقال على : أرجو أن أفعل وأعمل بقدر علمى وطاقتى ثم دعا عثمان ، وقال له مثل ما قال لعلى . فقال عثمان نعم : فبايعه على الخلافة فظن عليا أنه قد اختار عثمان برأيه ومكيدة فيه ، ولمصلحة له . فقال ابن عوف .

ياعلى : لاتجعل على نفسك سبيلا . فانى نظرت وشاورت الناس فوجدت أنهم لا يعدلون عن اختيار عثمان . ثم أقبل الناس يبايعون عثمان ورجع عليا يشق صفوف المسلمين وبايع عثمان وتمت الخلافة له .

الفتوحات فى عهد خلافته

عند ما تولى عثمان الخلافة استعمل سعد بن أبى وقاص على الكوفة ، عملا بوصية عمر بن الخطاب وكان معه عبد الله بن مسعود ، وأقام سعد فى إمارة الكوفة سنة ، ثم عزله عثمان عن الإمارة بسبب خلاف وقع بينه وبين عبدالله ابن مسعود . وولى مكانه الوليد بن عقبة فغزا أهل أزربيجان

التابعة لولاية الكوفة ووطئهم بالجيش لأنهم حبسوا ما كانوا يدفعونه فى عهد عمر . ففتح وغنم فلما رأوا ذلك انقادوا له وأذعنوا لأمره وطلبوا منه الصلح ووقف القتال ، فحقق لهم طلبهم وتم الصلح بينهم .

ثم سير « سلمان بن ربيعة الباهلى » إلى أهل أرمينية فشتت شملهم وفرق جماعتهم وقتل منهم من قتل ، وسبى وغنم ، ورجع إلى الوليد بغنائم كثيرة دلت على مهارة قيادته وتفننه فى الحروب واستبساله أمام العدو .

وغزا سعيد بن العاص « خراسان » ومعه حذيفة بن اليمان ، وقوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه الحسن والحسين ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير — فقاتلوا قتال الأبطال . وفتحت فى عهد سعيد « طبرستان » حيث قاتل أهلها وصمد أمامهم حتى سألوه الأمان وطلبوا منه الصلح فصالحهم .

وغزا عبد الله بن سعد بن أبي سرح « أفريقية » واستولى على كثير من المدن التى كانت تابعة للروم وانتهى أمره معهم بالصلح على أن يدفعوا له ماقدره عليهم وما طلبه منهم . فرضخوا لتقديره وأذعنوا لأمره . وأوغل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلى فى بلاد « الخزر » حتى وصل « بلنجر » وهى أكبر مدنهم ، ولكن الترك تجمعوا عليهم هناك ، ووقفوا أمامهم ، وصادموهم بجمعهم الكبير ، فأصيب عبد الرحمن وانهزم المسلمون فتفرقوا فرقتين . فرقة عادت فقابلت سلمان بن ربيعة الذى كان قد أرسل مددا كبيرا لأخيه فنجت من الهزيمة ، وفرقة أخرى أخذت طريق « جيلان وجرجان » .

وفى إمارة عبد الله بن عامر ، انتقض أهل فارس وقتلوا أميرهم عبيد الله بن معمر ، فسار إليهم ابن عامر وأوقع بهم وقاتلهم ، وفى إمارته على البصرة قتل « يزدجر » آخر ملوك الفرس وبموته انقضت الدولة الساسانية .

ولمعاوية بن أبي سفيان فى عهد عثمان غزوات مع الروم، فبلغ بغزوه «عموريه» وأسكن الحصون التى فى طريقه جماعة كثيرة من أهل الشام والجزيرة، وسير حبيب بن سلمة بأمر عثمان إلى «أرمينية» فصالحه أهلها، ثم استمر فى فتوحه حتى وصل إلى «تفليس».

وفتح معاوية بن أبي سفيان «قبرص» وقد رتب معاوية أمر الغزو فى البحر، وأعد لذلك أسطولا جعل أميره «عبد الله بن قيس الحارثى» وغزا معاوية أيضا بجيش كبير على «الصائفة» فبلغوا مضيق القسطنطينية وفتحوا فتوحا كثيرة.

وبالجملة فقد كانت الفتوحات فى عهد عثمان بن عفان لها أثر كبير فى التاريخ الاسلامى فى الكوفة ـ والبصرة ـ والشام ـ وفى مصر.

اخلاق عثمان وفضائله

كان رضي الله عنه تقيا، ورعا، صالحا، زاهدا للدنيا

محسنا عطوفا ، جوادا كريما ، ذا خلق كريم ، وصفات حميدة ، وفضائل متعددة ، فمن فضائله . ما أخرج الطبرانى عن زيد بن ثابت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليدخلن بشفاعة عثمان سبعون ألفا كلهم قداستوجبوا النار سيدخلون الجنة بغير حساب » .

وأخرج البخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حين حاصروه لقتله . أشرف عليهم فقال « أنشدكم بالله ولا أنشد إلا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة فجهزته . ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر بئر رومه فله الجنة فحفرتها . فصدقوه بما قال .

وأخرج الترمذى والحاكم ، وصححه عن عبد الرحمن ابن سمرة قال : جاء عثمان إلى النبى صلى الله عليه وسلم ومعه ألف دينار — حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره ،

فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم .

ومن أخلاقه قول النبي صلى الله عليه وسلم فى حقه « عثمان من أشبه أصحابى بى خلقا » رواه بن عساكر عن أبى هريرة . وكفاه فخرا بهذا التشبيه من النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن يكون شبيها بالنبى صلى الله عليه وسلم فى أخلاقه وصفاته مثل عثمان .

ومن أخلاقه الفاضلة ، ومحاسنه المتعددة ما أخرجه ابن عساكر عن أبى ثور الفهمى . قال : دخلت على عثمان وعليه حصار شديد فقال : لقد اختبأت عند ربى عشراً ، إنى لرابع أربعة فى الاسلام ، وأنكحنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته ، ثم توفيت فأنكحنى ابنته الأخرى ، ولا تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا وضعت يمينى على فرجى منذ بايعت بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ، وما مرت بى جمعة منذ أسلمت إلا وأنا أعتق فيها رقبة إلا أن يكون عندى شىء

فأعتقها بعد ذلك ولا زنيت فى جاهلية ولا اسلام قط ، ولا سرقت فى جاهلية ولا إسلام ، ولقد جمعت القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عساكر : بلغنى أن عامة الركب الذين ساروا إلى عثمان قد جنوا .

مناقبه وزهده

من مناقبه رضى الله عنه ، ماحكى عن أبى موسى الأشعرى قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم فى حائط من حيطان المدينة ، فجاء رجل فاستفتح فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أفتح له ، وبشره بالجنة » ففتحت له . فاذا هو (أبو بكر) فبشرته بالجنة فحمد الله وأثنى عليه . ثم جاء رجل آخر فاستفتح ، فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم « أفتح له ، وبشره بالجنة » ففتحت له . فاذا هو (عمر بن الخطاب) فبشرته بالجنة فحمد الله وأثنى عليه ـ ثم جاء رجل آخر فاستفتح ، فقال لى النبي صلى الله عليه وسلم « افتح له ، وبشره بالجنة على بلوى تصيبه » ففتحت له . فاذا هو (عثمان) فبشرته

بالجنة وبما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال الله المستعان .

وقال أنس بن مالك رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يبرق فى الجنة برق تضىء به الجنة . فيقول أهل الجنة : ما هذا ؟ وليس هذا موضع برق فيقال « هذا نور عثمان » ليس يغلبه ليذهب من حجرة إلى حجرة .

ومن مناقبه المتعددة ، وفضائله العظيمة قول النبى صلى الله عليه وسلم « عثمان بن عفان ولي فى الدنيا وولي فى الآخرة » .

وقوله صلى الله عليه وسلم « عثمان حى تستحى منه الملائكة » وقوله : « عثمان أحيي أمتى وأكرمها » ولكل نبي رفيق فى الجنة ، ورفيقى فيها عثمان — وقوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فانى راض عنه » .

وروى البيهقي عن عبد الرحمن بن خباب رضي الله عنه قال :

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحث الناس على جيش العسرة ، فقال عثمان : على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها . ثم نزل صلى الله عليه وسلم مرقاة أخرى ، فحث الناس . فقال عثمان : على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها : ثم نزل صلى الله عليه وسلم مرقاة أخرى ، فحث الناس كذلك ، فقال عثمان : على مائة بعير أخرى بأحلاسها وأقتابها : قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بيده هكذا يحركها كالمتعجب ، وقال : « ما على عثمان بعد هذا اليوم » .

وأخرج الطبراني عن عصمة بن مالك قال : لما ماتت بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت عثمان رضي الله عنه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « زوجوا عثمان : لو كان لي بنتا ثالثة لزوجته إياها ، وما زوجته إلا بوحي من

الله تعالى ، إن الملائكة لتستحى من عثمان كما تستحى من الله ورسوله .

وقد جاء عن زهده رضى الله عنه ما حكاه أحمد عن المغيرة بن شعبة . أنه دخل عليه وهو محصور ، فقال له — إنك أمام العامة — وقد نزل بك ما ترى ، وإنى أعرض عليك خصالا ثلاثا ، فاختر لنفسك احداهن . إما أن تخرج فتقاتلهم فان معك عددا وقوة ، وأنت على الحق وهم على الباطل . وإما أن تخرق لك بابا سوى الباب الذى هم عليه ، فتأخذ راحلتك فتلحق بمكة ، فانهم لن يستحلوك وأنت بها ، وإما أن تلحق بالشام فانهم أهل الشام وفيهم معاوية . فقال عثمان رضى الله عنه : أما أن أخرج فأقاتل ، فلن أكون أول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته بسفك الدماء . وأما أن أخرج إلى مكة فانى سمعت رسول الله يقول : يلحد رجل من قريش بمكة يكون نصف عذاب العالم عليه . فلن أكون أنا وأما أن ألحق بالشام ، فلن أفارق دار هجرتى

ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

مقتل عثمان

من الأسباب التى دعت إلى قتل عثمان — حياءه الزائد ولينه مع رعيته ، فكان دائما حليما عفوا ، ومن هذه الأسباب أيضا وقوعه تحت تأثير أقربائه فيما يبدونه له من أقوال وأفعال . وحرمان المجتمع الاسلامى من مكونيه . أمثال « على ابن أبى طالب وطلحة ، والزبير » وغيرهم . واعتماده على فتيان بنى أميـــة . وكان ينفق الأموال ويعطيها لأقاربه وعشيرته ، وقد ذكر « أن إبلا من إبل الصدقة قدم بها على عثمان . فوهبها لبعض بنى الحكم . فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف ، فأخذها وقسمها بين الناس ، وعثمان فى الدار .

من كل هـذا ظهرت الفتن واشتد الطعن على عثمان واتهامه بالفشل فى خلافته . وخرج جماعة من أهل مصر ، وجماعة من أهل الكوفة ، وجماعة من أهل البصرة . وكل منهم

يريد خليفة حسب هواه فأهل البصرة يريدون « طلحة » وأهل الكوفة يريدون « الزبير » وأهل مصر يريدون «عليا» ولما وصلوا إلى المدينة . اجتمع كل فريق بالذى اختاره . وعرضوا عليهم الأمر ، فردوهم عن هزمهم ، وقهروهم .

ومن هنا كانت الفتنة الكبرى فى حياة عثمان فقد طلب أهل مصر تولية « محمد بن أبى بكر » وأدعوا على عثمان أنه بعث كتابا إلى والى مصر يخبره فيه بقتل « محمد بن أبى بكر وأتباعه » ولم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وغضب عليه . وحاصر الناس منزل عثمان فمنعوه من الخروج ، وأحاطوا به من كل جانب ثم دخلوا عليه ومعهم الكتاب المدون فى حقهم والذى يخبر عن قتلهم . فقال عثمان : هما اثنتان أن تقيموا على رجلين من المسلمين ، أو يمينى بالله ماكتبت ، ولا أمليت ، ولا علمت من أمر هذا الكتاب شيئا ، وقد تعلمون أن الكتاب يكتب على لسان الرجل ، وقد ينقش الخاتم على الخاتم فقالوا : والله قدأحل الله دمك ،

ونقضت العهد والميثاق ، واستمر الحصار عليه . وكان عثمان يطل عليهم من حين لآخر ، ويعظهم ويرشدهم فلا يتأثرون .

واشتد الحصار ، وهجموا عليه لما علموا أن جندا من الأنصار أقبلوا لنجدته ، فأحرقوا أبواب الدار ؛ ومنهم من قفز من دار جاره ودخلت عليه جماعة ، فضربه « الغافقي » بحديدة ، ثم ضرب بعضهم عنقه ، وقتلوه سنة خمس وثلاثين من الهجرة .

واختفت هذه الشعلة المضيئة بالنور ، واندثرت فقد امتدت إليها يد الغادرين ، وكانت هذه هي نهاية عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .